

الباب الثالث

معرفة النقاط البلاغية فى قصة يوسف عليه السلام

أ. التعريف بسورة يوسف

ويعنى الكاتب بهذا المبحث ذكر ما لا بد من معرفتها لكل الباحثين فى هذه السورة الكريمة من اسمها، وترتيبها فى المصحف، وسبب نزولها، نوعها من المكية أو المدنية، ومقاصدها وأغراضها.

1. اسم السورة

الاسم الوحيد لهذه السورة اسم "سورة يوسف"، فقد ذكر ابن حجر فى كتاب الإصابة فى ترجمة رافع بن مالك الزرقى عن ابن إسحق أن أبا رافع بن مالك أول من قدم المدينة بسورة يوسف، يعنى بعد أن بايع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة¹.

ووجه تسميتها ظاهر لأنها قصت قصة يوسف عليه السلام كلها، ولم تذكر قصته فى غيرها، ولم يذكر اسمه فى غيرها إلا فى سورة الأنعام وغافر. فهى القصة الوحيدة التى استغرقت سورة طويلة من القرآن الكريم. وهى القصة الطويلة الوحيدة التى جاءت فى مكان واحد ولم تتكرر فى مواضع أخرى، ولو قارنتها مع قصة موسى أو إبراهيم أو غيرها لوجدت أن تلك القصص تحتل التوازيح و التقطيع على مشاهد متعددة لأن كل مشهد يعتبر وحدة كاملة مثل موسى و العبد الصالح، وموسى فى المدين².

¹ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة فى تمييز الصحابة، (بيروت: دار الجيل، 1412هـ)، ط1، ج2، ص444.

² أحمد نوفل، سورة يوسف دراسة تحليلية، (عمان: دار الفرقان، 1409هـ/1989م)، ط1، ص10.

قال سيد قطب في الظلال: "و السورة ذات طابع متفردة في احتوائها على قصة يوسف فالقصص القرآني غير قصة يوسف يرد حلقات، تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها وجوها. وحتى القصص الذي ورد كاملا في سورة واحدة كقصص هود وصالح و لوط وشعيب ورد مختصرا مجملا، أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها في سورة واحدة. وهو طابع متفرد في السور القرآنية جميعا. هذا الطابع الخاص يتناسب مع طبيعة القصة، ويؤديها أداء كاملا. ذلك أنها تبدأ برؤيا يوسف وتنتهي بتأويلها. بحيث لا يناسبها أن تكون حلقة منها أو جملة حلقات في سورة وتكون بقيتها في سورة أخرى. وهذا الطابع كفله لها الأداء الكامل من جميع الوجوه. فوق تحقيقه للهدف الأصيل الذي من أجله سيقت القصة و التعقيبات التي تلتها³. ولكن وحدة أحداث قصة يوسف لا تجعل من الممكن فنيا وموضوعيا أن تقطعها أو توزعها على مرات عرض متعددة، وفي هذا يتجلى وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودقة و حكمة هذا الكتاب الذي هو من لدن حكيم خبير⁴.

وعلى الكاتب و إنه وإن يكن لكل سورة قرآنية شخصيتها وجوها وماذاقها الخاص، ولكل قصة قرآنية أحداثها الخاصة، لكن سورة يوسف وقصته طريفة طرافة كاملة لا في خصوصية واحدة ولكن في جملة خصائص تجعلها نسيجا خاصا متفردا.

2. ترتيب السورة في المصحف

³ سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث، دت)، ج 4، ص 663.

⁴ أحمد نوفل، المرجع السابق، ص 10.

سورة يوسف هي السورة الثانية عشرة في ترتيب المصحف، وتقع في الجزء الثاني عشر أيضا، وآياتها إحدى عشرة ومائة آية، ولا يماثلها في عدد آياتها إلا سورة الإسراء. وتأمل الموافقات أن رقم السورة والجزء الذي هي فيه يناظر عدد أبناء يعقوب، وعدد الآيات يلمح إلى ذلك فهي إحدى عشرة آية بعدد إخوة يوسف ومائة آية، والقصة الكريمة تستغرق من السورة مائة آية وآية واحدة، ويستغرق التعليق عليها بقية الآيات، وهي عشرة كاملة. ويتجاوز الكاتب هذه القضية لينقل إلى فاتحة السورة، ويجد أنها مفتوحة بالحروف المقطعة وبالذات بحروف: "الر"، ولو تأملت هذخ الحروف أيضا لوجدتها تمثل نصف حروف كلمة الرؤيا التي هي من المعالم البارزة في قصة يوسف.

3. سبب نزول السورة

يروى المفسرون الزمخشري و السيوطي في التفسير بالمأثور و الإمام القرطبي في تفاسيرهم أسبابا لنزول هذه السورة الكريمة، ولعل مما يساعدهم في تبني وجهة نظر أن هذه السورة نزلت لسبب معين كون السورة الكريمة ذكرت في سيعقها أن هناك سائلين عن قصة يوسف تجيبهم هذه السورة: "لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ". وإن كان ورود هذه الآية لا يعين أن السورة نزلت لسبب معين، إذ قد فسرها أن في سورة يوسف عبرا للسائلين عن العبر في حكايات من غير وللباحثين عن الحكمة والسنة في أخبار الماضين، ولمن يتطلعون في الكون والأنفس والخلق يبحثون عن حكمة الله وعلمه وتقديره من خلال تفكيرهم ونظرهم وسؤالهم.

وإن كان رواية أسباب النزول يميلون إلى كون السائلين في الآية سائلين عن قصة يوسف، ومن هنا فإنهم يروون عدة أخبار وروايات عن بني إسرائيل أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن قصة يوسف، ففي الكشف: أن اليهود قالوا لكبراء المشركين سلوا محمدا لم انتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر وعن قصة يوسف⁵، فنزلت السورة تروي هذه القصة. وفي رواية أخرى أنهم سألوه عن رجل كان بالشام فارقه ولده فبكى عليه حتى عمي، ماخيره ومن يكون؟. وفي روايات أخرى أن بني إسرائيل سألو النبي عن أسماء الكواكب التي وردت في سورة يوسف⁶. وفي روايات أخرى أن الصحابة كانوا هم السائلين لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقص عليهم من أخبار من مضى ما يسليهم ويسرى عنهم ما يجدون من ثقله ما تواجههم به قریش من أذى وتكذيب وتعذيب⁷.

وذكر الإمام القرطبي: أنهم سألو النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، فقالوا أخبرنا عن رجل من الأنبياء كان بالشام، أُخرج ابنه إلى مصر، فبكى عليه حتى عمي؟ ، و لم يكن بمكة أحد من أهل الكتاب، و لا من يعرف خبر الأنبياء، و إنما وَجَّه اليهود إليهم من المدينة، يسألونه عن هذا، فأنزل الله عز و جل سورة يوسف، جملة واحدة، فيها كل ما في التوراة من خبر و زيادة⁸. وهذه الروايات أغلبها لا يصح. و المعول عليه ما في النص القرآني من عموم أن في سورة يوسف آيات لكل السائلين عن الحكمة و العبرة و الفهم و الصراط السوي و الهدى.

4. نوع السورة من المكية أو المدنية

⁵ أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، بيروت: دار إحياء التراث العربي، دت)، ج2، ص415.

⁶ عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار المعرفة، دت)، ج 4، ص4.

⁷ السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، (بيروت: دار المعرفة، دت)، ج4، ص3

⁸ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (الرياض: دار عالم الكتب، 1423 هـ / 2003 م)، ج9، ص130.

قال القرطبي: وهي مكية كلها. وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها⁹. قال السيوطي في الإتقان: استثنى منها ثلاث آيات من أولها، حكاه أبو حيان، وهو واه جدا لا يلتفت إليه¹⁰.

قال سيد قطب في الظلال: و السورة مكية بجملة ما ورد في المصحف الأميري من أن الآيات (1،2،3،7) منها مدنية، ذلك أن هذه الآيات هي مقدمة طبيعية لما جاء بعدها مباشرة من البدء في قصة يوسف عليه السلام، ثم تمضي القصة بعد ذلك في طريقها إلى النهاية، فالتقديم لهذه القصة بقول الله تعالى: "نحن نقص عليك . . . " يبدو هو التقديم الطبيعي المصاحب لنزول القصة، وكذلك هذه الحروف المقطعة. وتقرير أنها آيات الكتاب المبين، ثم تقرير أن الله أنزل هذا الكتاب قرآنا عربيا. هو كذلك من جو القرآن المكي. ومواجهة المشركين في مكة بعربية القرآن الذي كانوا يدعون أن أعجميا يعلمه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، و تقرير أنه وحى من الله كان النبي صلى الله عليه وسلم من الغافلين عن اتجاهه وموضوعاته. ثم ان هذا التقديم يتناسق مع التعقيب على القصة في نهايتها، وهو قول الله تعالى: "ذلك من أنباء الغيب نوحي إليك، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون". فهناك حكمة بين التقديم للقصة و التعقيب عليها، ظاهر منها نزول التقديم مع القصص و التعقيب¹¹.

قال في المنارفي تأكيد نفس الحقيقة: وهي مكية، وما قيل من أن الثلاث آيات الأولى منها مدنيات فلا تصح روايته ولا يظهر له وجه، وهو يخل بنظم الكلام، وقد راجعت الإتقان فإذا هو

⁹ نفس المرجع، ص 118.

¹⁰ عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (بيروت: دار المعرفة، دت)، ج 1، ص 15.

¹¹ سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار إحياء التراث، دت)، ج 4، ص 659-660.

ينقله ويقول: وهو واه جدا فلا يلتفت إليه، ومن العجائب أن يذكر هذا الإستثناء في المصحف المصري، ويزاد عليه الآية السابعة¹².

ويسأل الأستاذ على نصوص الطاهر القائلين بأن الآيات الثلاثة الأولى مدنية فيقول: إذا اعتبرنا الآيات المشار إليها مدنية فكيف كانت تقرأ السورة إذا في العهد المكّي قبل نزول هذه الآيات؟ سنجد أن السورة كانت تبدأ: بسم الله الرحمن الرحيم. إذ قال يوسف لأبيه يا أبت¹³. قال في الظلال في مقدمة تفسيره للسورة الكريمة: نزلت السورة الكريمة بعد سورة هود في تلك الفترة الحرجة العصيبة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حيث توالى الشدائد و النكبات عليه وعلى المؤمنين، وبالأخص بعد أن فقد زوجته وعمه. نزلت بين عام الحزن وبيعة العقبة الأولى¹⁴. فكانت هذه السورة تسلية وتسرية، وتخفيفا لآلام المسلمين، وتحمل البشر و الأانس و الراحة.

5. مقاصد السورة وأغراضها

أهم أغراض هذه السورة: بيان قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، وما لقيه في حياته وما في ذلك من العبر من نواح مختلفة. وفيها إثبات أن بعض الرؤى قد يكون إنباء بأمر مغيب. وأن تعبير الرؤيا علم يهبه الله لمن يشاء من صالحى عباده.

¹² محمد رشيد رضا، تفسير المنار، (القاهرة: دار المنار، 1355هـ)، ط1، ج12، ص2.

¹³ على نصوص الطاهر، أوائل السور في القرآن، دراسة علمية، (القاهرة: مكتبة التحرير، 1406هـ/1986م)، ط1

وتحاسد القرابة، ولطف الله بمن يصطفيه من عباده. والعبرة بحسن العواقب، والوفاء، والأمانة، والصدق، والتوبة.

وسكنى إسرائيل وبنيه بأرض مصر.

وتسليية النبي صلى الله عليه وسلم بما لقيه يعقوب ويوسف عليهما السلام من آلم من الأذى، وصبر يعقوب ويوسف على البلوى. وكيف تكون لهم العاقبة.

وفيها من عبر تاريخ الأمم والحضارة القديمة وقوانينها ونظام حكوماتها، وعقوباتها، وتجارها، ونظام الرق، وأحوال المساجين، ومراقبة المكاييل¹⁵.

وقال الأستاذ المبارك رحمه الله: هذه أطول قصة من كتاب الله تضمنت مشاهد كثيرة

متوالية¹⁶:

أولها يمثل طفولة يوسف إذ يقص رؤياه على أبيه يعقوب (الآيات 4-7).

وثانيها تأمر إخوة يوسف عليه لقتله أو إبعاده وما اتفقوا عليه بعد المذاكرة وإقناع أبيهم بإرسال يوسف معهم (الآيات 8-14).

وثالثها تنفيذ المؤامر بيوسف وتغطيتها وتليبس الأمر على يعقوب (الآيات 15-18).

ورابعها التقاط يوسف وخروجه من البئر (19-20).

وخامسها يوسف في مصر في بيت العزيز وتبدأ في حياة يوسف مأساة جديدة دوافعها الإغراء والإغواء وسببها العفة والإباء (21-34).

¹⁵ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، (تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع، 1997 م)، ج 12،

ص 199.

¹⁶ محمد المبارك، دراسة أدبية لنصوص من القرآن، (مكة: دار الفكر، 1973 م)، ط 4، ص 198-199.

وسادسها يوسف في السجن، ويبدو لنا هنا وجه جديد ليوسف ذلك هو الداعي إلى الله والموهوب الذي كشف الله عن بصيرته فاستشف المستقبل المغيب من خلال الرؤى والأحلام (35-53).

وسابعها يوسف في بلاط الملك بعد خروجه من السجن وتوليه خزائن مصر (54-57).

وثامنها ويتلو ذلك مشتهج متعددة فيها كثير من الحوادث والأزمات تنتهي بلقائه لأخوته وتعارفهم

وانتقالهم جميعا مع أبيهم إلى مصر حيث تصل الحوادث إلى نهايتها وتفتح أبواب الفرج على

مصراعيها، وينتهي ذلك بتغيير يوسف عن شكره لله على نعمه كلها (58-101).

لقد أحتوي القصة أزمات و عقدا كثيرا، وكان الله دوما هو الذي يفرج الكرب ويحل العقدة

و يخرج يوسف بعنايته من الأزمة¹⁷.

وقد احتوي الكاتب هذه القصة ضروبا شتى من عناصر الحياة البشرية وأنواع العواطف

الطيبة و الخبيثة، من تحاسد الأخوة ونية الإجرام، إلى عاطفة الأب الشفوق وحذره، ومن الصبر على

المصائب والوقوع تحت تأثير إغراء الغريزة و الشهوة إلى الانتصار في الصراع بين قوة الغريزة وردع

الضمير و الثبات على الإيمان و الشكر على النعم. كل ذلك تضمنته القصة في حوادثها و

مشاهدها.

أما فلسفة القصة العميقة فتحلى في الإيمان العميق بالله ينصر الحق على الباطل ولو طال

الأمد، والثقة بهذا الانتصار، ومواجهة أزمات الحياة المختلفة بصبر و ثبات وإيمان، والتفاؤل حتى في

¹⁷ نفس المرجع.

الشدة و تقرب الفرج من الله في الأزمات، و الإيمان أن نية الخير و العزم عليه لا يولد في النهاية إلا خيراً، و الإيمان صبر و جهاد وثقة و تفاؤل¹⁸.

وتتمثل هذه الفلسفة المؤمنة المتفائلة في أكثر من موقف وكثير من الآيات و المناسبات القصة ومنها على لسان يعقوب: "فصبر جميل"، "ولا تيأسوا من روح الله، وقول يوسف: "إنه من يتق و يصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين"¹⁹.

ب. صور الإعجاز البلاغي في قصة يوسف عليه السلام

يعد الإعجاز البلاغي وجهاً من الوجوه البارزة الواضحة للإعجاز القرآني بصفة عامة، وهو يصلح لأن يلازمه على مر الزمن، والإعجاز هو خرق العادة وعدم الاستطاعة مع المعرفة بما يعجز به، وبما أن القرآن معجز، وهو كلام يتكلم به العرب أي لغتهم فالمعجز هو أن يأتي المعنى بطريقة هي أبلغ من غيرها من الطرق، وبمعنى آخر فالإعجاز القرآني صفة عالية في الكلام، خارقة، تفوق غيرها من الدرجات، ومرتبة عالية لا ترقى إليها المراتب، بينها وما بين غيرها ما بين الخالق والمخلوق، فقد قال النبي الكريم: فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه²⁰.

وقد أدرك العرب بفطرتهم هذا الفضل، وأقروا بمكانته، وأحسوا إحساساً سطرته كلمات الوليد بن المغيرة، وهو خصم معاند لديد، حيث قال: والله إن لقوله حللوة، وأن أصله لعذق، وأن فرعه لجناة.

¹⁸ نفس المرجع.

¹⁹ نفس المرجع.

²⁰ عبدالله بن عبدالرحمن أبو محمد الدارمي، سنن الدارمي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 1407هـ)، ط1، ج2، ص

من هذا وغيره يعلم أن للقرآن تأثيراً في النفس، ذلك لجلال عظمته، ومن التأثير في النفس يأتي الإعجاز البلاغي، غير أنه ثمة إشكال على العلماء المختصين به، وكذلك على متذوقيه، فصاروا إذا ما سئلوا عن تحديد هذه البلاغة الفائقة في وصفها سائر البلاغات، والتي اختص بها القرآن، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر الكلام الموصوف بالبلاغة قالوا: إنه لا يمكن تصويره، ولا تحديده بأمرٍ ظاهرٍ، نعلم مباينة القرآن عن غيره من الكلام، وإنما يعرفه العالمون به ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده، وقد شبه أثر البلاغة القرآنية بما يحسه الإنسان من استقامة الوزن، أو الملاحظة، أو طيب النغم العارض للصوت، وقال السكاكي: اعلم أن إعجاز القرآن يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحظة وكما يدرك طيب النغم العارض لهذا الصوت ولا يدرك تحصيله لغير ذوي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي المعاني والبيان والتمرين فيهما²¹.

ولو تأمل المتأمل إلى لفظة "بليغ" يجد أنها وردت بهذا اللفظ في سورة النساء قال تعالى: **أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا . (النساء: 63)**. فقد تكلم فيها الزمخشري فقال: بليغاً أي قل لهم قولاً بليغاً في أنفسهم، مؤثراً في قلوبهم، يغمون به اغتماماً، ويستشعرون منه الخوف استشعاراً²².

أما أمر النبي المكرم صلى الله عليه وسلم فإنه يتجاوز حد البلاغ، أي يتعدى معنى الوصول إليهم بالقول، و أمر أن يكون قوله مؤثراً في أنفسهم، وذهب الفخر الرازي فيما يخص قوله: "بليغاً" إلى قولين، أحدهما: أن القول البليغ صفة للوعظ، فأمر جل جلاله بالوعظ، ثم أمر أن

²¹ بدر الدين محمد بن عبد الله بن محمدر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار المعرفة، 1376 هـ / 1957

م)، ط1، ج2، ص100.

²² الزمخشري، المرجع السابق، ج1، ص559.

يكون ذلك الوعظ بالقول البليغ، وهو أن يكون كلاماً بليغاً طويلاً حسن الألفاظ، حسن المعاني، مشتملاً على الترغيب والترهيب، فإن الكلام إذا كان هكذا عظم وقعه في القلب، وإذا كان مختصراً ركيك التلفظ لم يؤثر في القلوب²³.

وهذا ما يؤيد أن التأثير في النفس وتحفيزها بإطلاق المشاعر والأحاسيس، هو معنى البلاغة وليس التوصيل المجرد للمعنى.

ولا يمكن الوصول إلى هذا التأثير النفسي إلا إذا كان الكلام يتسم بالبيان، وما يتبعه من

دقة الألفاظ، وروعيتها، وجزالتها، والتناسق والتناغم فيما بينها، والاستعارات، والكناية، والمجاز بأنواعه وما إلى ذلك من ضروب البلاغة وفنون القول.

والمتتبع لآيات القرآن والمتمعن فيها يجد الكثير من الآيات التي تشع منها البلاغة، ويقع في

القلوب منها روعة الأثر، ويتجلى الإعجاز البلاغي من خلالها، وهذه قصة يوسف عليه السلام

مألى بالصورة البلاغية المعجزة على النحو التالي:

الآية (1) قال تعالى: الر، تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ، يعنى بالكتاب المبين القرآن المبين،

أي المبين حلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه وهده وبركته²⁴.

يوجد من الناحية البلاغية في هذه الآية إشارة إلى البعيد وذلك في قوله: تلك آيات، وهذه

الإشارة إنما جاءت للعظمة وبعد المنزلة وعلو المرتبة في الكمال والشأن.

²³ فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، مفاتيح الغيب، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1421هـ/

2000 م)، ط1، ج10، ص128.

²⁴ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المرجع السابق

نظيرها قوله تعالى: ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ، وفي تفسير الجلالين: والإشارة

به (ذلك) للتعظيم²⁵.

الآية (3-4)، قال تعالى: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ

وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3)، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا

وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ.

يعنى نحن نلقى عليك أيها النبي أحسن القصص بإيجائنا إليك هذا الكتاب، وقد كنت قبل

تلقيه من الذين غفلوا عما فيه، وعما اشتمل عليه من عظات وآيات بينات. من ذلك القصص أيها

النبي قصة يوسف، إذ قال لأبيه: يا أبت، إني رأيت في منامي أحد عشر كوكباً، والشمس والقمر،

رأيتهم جميعاً خاضعين لي ساجدين أمامي²⁶.

في هذه الآية من الناحية البلاغية فناً جميلاً وهو ما يعرف ببراعة التخلص وهو امتزاج آخر

ما يقدم الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك

بأول بيت من المدح. وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين، وقد يقع في بيت واحد، وهذه وإن لم تكن

طريقة المتقدمين في تغالب أشعارهم، فإن المتأخرين قد لهجوا بها وأكثرها منها، وهي لعمري من

الماسن وهذا الباب قديم، وهو من أجل أبواب المحاسن، ويسمى معرفة الفصل من الوصل²⁷.

²⁵ جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجمال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، تفسير الجلالين، (القاهرة: دار

الحديث، دت)، ط1، ص3.

²⁶ أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، بحر العلوم، (بيروت: دار الفكر، دت)، ج2،

ص135.

²⁷ عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، (مصر: دط، دت)،

ط1، ص1936.

وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه وجه من وجوه الإعجاز، وهو دقيق في عين من لا يحسن استجلاء مظاهر الجمال، خفي يخفى على غير الحذاق من ذوي النقد، وهو في الكتاب العزيز من أوله إلى آخره²⁸، ومنه هذه الآية: نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْعَافِلِينَ (3)، إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ، فإنه سبحانه أشار بقوله: أحسن القصص إلى قصة يوسف، فوطأ بهذه الجملة إلى ذكر القصة مشيراً إليها بهذه النكتة من باب الوحي والرمز، وإنما كانت أحسن القصص بكون كل قضية منها كانت عاقبتها إلى خير، فإن أولها رمية في الجب، فكانت عاقبته السلامة، ويبيع ليكون عبداً فاتخذ ولدأ، ومرادة امرأة العزيز له فعصمه الله، ودخوله السجن، وخروجه ملكاً، وظفر إخوته به أولاً، وظفر بهم آخرأ، وتطلعه إلى أخيه بنيامين، واجتماعه به، وعمى أبيه، ورد بصره، وفراقه له، ولأخيه، واجتماعه بهما، وسجود أبيه وإخوته له تحقيقاً لرؤياه من قبل²⁹.

أما قوله تعالى: "أَحْسَنَ الْقَصَصِ" فهو صفة هذه القصة، فإن المتأمل في هذه القصة يجد أن كل قضية فيها قد ختمت بخير، وكل ضيق انتهى إلى فرح، وكل شدة آلت إلى رخاء، فإن أولها رمية في الجب، فكانت عاقبته السلامة، ويبيع ليكون عبداً فاتخذ ولدأ، ومرادة امرأة العزيز له فعصمه الله، ودخوله السجن، وخروجه ملكاً، وظفر إخوته به أولاً، وظفر بهم آخرأ، وتطلعه إلى أخيه

²⁸ نفس المرجع

²⁹ نفس المرجع.

بنيامين، واجتماعه به، وعمى أبيه، ورد بصره، ورفاقه له، ولأخيه، واجتماعه بهما، وسجود أبويه وإخوته له تحقيقاً لرؤياه من قبل، وأيضاً لما تتضمنه من العبر والنكت والحكم والعجائب³⁰.

ولو رجع القارئ لبداية القصة نجد أنها افتتحت بثلاث آيات، لتؤكد قضايا ثلاث:

(1) تفرد القرآن الكريم بالسمة البيانية.

(2) تمثل معانيه في شكل لساني مفهوم ومقنع للعقل.

(3) الإعلان عن القصة بصيغة مثيرة ومشوقة، فهي أحسن القصص³¹.

الآية (8) قال تعالى: **إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ آبِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبِنَا لَفِي**

ضَلَالٍ مُّبِينٍ.

يعنى إذ قالوا ليوسف وأخوه أي شقيقه بنيامين وإنما لم يذكر باسمه تلويحاً بأن مدار المحبة أخوته ليوسف من الطرفين ألا يرى إلى أنهم كيف اكتفوا بإخراج يوسف من بين من غير تعرض له حيث قالوا اقتلوا يوسف أحب إلى آبينا منا وحد الخبر مع تعدد المبتدأ لأن أفعل من كذا لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث نعم إذا عرف وجب الفرق وإذا أضيف جاز الأمران وفائدة لام الإبتداء في يوسف تحقيق مضمون الجملة وتأكيده ونحن عصبة أي والحال أنا جماعة قادرون على الحل والعقد أحقاء بالمحبة والعصبة والعصابة العشرة من الرجال فصاعدا سمو بذلك لأن الأمور تعصب بهم إن أبانا في ترجيحهما علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل من كفاية

³⁰ محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن صرفه وبيان، (دمشق، دار الرشيد)، ج 6 ص 357

³¹ محمد رشدي عبيد، قصة يوسف عليه السلام في القرآن دراسة أدبية، (الرياض: مكتبة العبيكان، 2003م)، ط 1،

الأمر بالصغر والقلة لفي ضلال أي ذهاب عن طريق التعديل اللائق وتنزيل كل منا منزلته مبين³². وفي هذه الآية جيء بلام الابتداء لتحقيق مضمون الجملة وتأكيد، أي أن كثرة حبه عليه السلام لهما أمر ثابت لا شبهة فيه³³.

الآية (9) قال تعالى: اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ.

في هذه الآية كناية تشير إلى خلوص المحبة والتفرد بها، ومرادهم بقتل يوسف أن يخلو لهم وجه أبيهم، وتحصل سلامة المحبة لهم ممن يشاركون فيها وينازعونها، فذلك من قوله: يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ.

الآية (14) قال تعالى: قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذُّبُّ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ.

يظهر من قوله تعالى: إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ، المجاز عن الضعف والعجز والعلاقة هي السببية³⁴.

الآية (18) قال تعالى: وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ.

في هذه الآية ورد وصف بالمصدر وذلك في قوله: "بِدَمٍ كَذِبٍ" مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه، كما يقال للكذاب: هذا الكذب بعينه. والزور بذاته، قال صاحب التحرير والتنوير: ووصف الدم بالكذب وصف بالمصدر، والمصدر هنا بمعنى المفعول كالحلق بمعنى المخلوق، أي مكذوب

³² محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 225. دت)، ج 4 ص 225.

³³ الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ج 12 ص 189

³⁴ بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (بيروت: دار المعرفة، 1376 هـ / 1957 م)، ط 1، ج 2، ص 116

كونه دم يوسف عليه السلام إذ هو دم جدي، فهو دم حقاً لكنه ليس الدم المزعوم. ولا شك في أنهم لم يتركوا كيفية من كيفية تمويه الدم وحالة القميص بحال قميص من يأكله الذئب من آثار تخريق وتمزيق مما لا تخلو عنه حالة افتراس الذئب، وأنهم أفطن من أن يفوتهم ذلك وهم عصبية لا يعزب عن مجموعهم مثل ذلك. فما قاله بعض أصحاب التفسير من أن يعقوب عليه السلام قال لأبنائه: ما رأيت كالיום ذئباً أحلم من هذا، أكل ابني ولم يمزق قميصه، فذلك من تطرفات القصص³⁵.

الآيات (23-29) قال تعالى: **وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (23)**، **وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)**، **وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا حَزَاءَ مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (25)**، **قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ قَبْلِ فَصَدَقْتَ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26)**، **وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27)**، **فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدًّا مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)**، **يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (29)**.

أثارت هذه الآيات المتكلمين والمفسرين والعلماء واللغويين والأدباء، وكل من ذهب يفسر

كما يرى هو، غير أن ما يهم الكاتب هنا هو الناحية الإعجازية والبلاغية، ففي قوله تعالى:

"وَرَاوَدْتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا"، يظهر جلياً الغرض المسوق له الكلام، فإيراد الموصول دون امرأة العزيز

³⁵ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج12، ص238.

أظهر في تقرير المرادة، فإن كونه في بيتها مما يدعو إلى ذلك، ولإظهار كمال نزاهته عليه السلام فإن عدم ميله إليها مع دوام وجوده بقربها، واستعصائه عليها مع كونه تحت يدها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة، وقوله: "وَعَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ"، أي غلقت أبواب البيوت عليها وعلى يوسف لما أرادت منه وراودته عليه بابا بعد باب³⁶، وقد وردت لفظة "وَعَلَّقَتِ" بتضعيف اللام وذلك إشارة إلى حرصها وشدة رغبتها في أن تقوم بمرادها، ويتجلى في الآية عِظَمَ السبكِ وجلال المعنى إذ يأتي في حنايا هذه الآية ومن خلالها بالعظات البالغة، ويطلع من خلالها بالبراهين الساطعة على وجوب الاعتصام بالعفاف والشرف والأمانة.

وذلك في قوله تعالى: قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، فتأمل أيها القارئ في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث ، مقابلة صورت من القصص الممتع جدالاً عنيفاً بين جندِ الرحمن وجندِ الشيطان ، ووضعها أمام العقل المنصف في كفتي ميزان ، وهكذا يوجد القرآن كله مزيجاً حلواً سائغاً ، يخفف على النفوس أن تجرع الأدلة العقلية، ويرفه عن العقول باللفتات العاطفية ، ويوجه العقول والعواطف معاً، جنباً إلى جنب ، لهداية وخير الإنسان ، ولا يوجد هذا بكلام البشر، فكلامهم إن وفي بحق العقل بحس العاطفة حقها، وإن وفي بحق العاطفة بحس العقل حقه، ومقدار ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر، ينتاج عن هذا تقسيم الأساليب البشرية إلى نوعين: "أسلوب علمي" و"أسلوب أدبي"، فطلاب العلم لا يرضيهم أسلوب الأدب ، وطلاب الأدب لا يرضيهم أسلوب العلم ، وهكذا يوجد كلام العلماء والمحققين فيه من الجفاء ما لا يهز القلوب ويحرك النفوس ، وتجند في كلام الأدباء والشعراء من الهزل

³⁶ أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري، (بيروت: دار المعرفة، 1989م)، ج 12، ص 178.

ما لا يغذي الأفكار ويقنع العقول ، ذلك لأن القوى العاقلة والقوى الشاعرة في بني الإنسان غير متكافئة، وإن تكافأتا في شخص واحدٍ فإنهما لا تعملان دفعة واحدة ، بل على سبيل المناوبة ، فكلام الشخص إما وليد فكرة وإما وليد عاطفة، وإما ثوب مرقع يتألف من جمل نظرية، تكون ثمرة للتفكير، ومن جمل عاطفية تكون ثمرة للشعور ، أما إن تأتي كل جملة من الجمل جامعة للغايتين معا فذلك أمر يستحيل الوصول إليه، وكيف يتسنى ذلك للإنسان وهو لم يوهب القوتين متكافئتين ، ولو تكافأتا لديه فإنه لا يستطيع أن يوجههما اتجاهها واحدا في آن واحد متقارنتين، قال تعالى: " مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ " ، (الأحزاب: 4)، أما القرآن فإنه انفرد بهذه الميزة بين أنواع الكلام، لأنه تنزيل من القادر الذي لا يشغله شأن عن شأن³⁷.

أما في قوله تعالى: "لَوْلَا أَن رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" ، فقد قال العلماء إن فيه تقدماً وتأخيراً، والتقدير هو "ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه هم بها"، ورد عليه بعضهم بأنه حسن، غير أن في تأويله قلقاً، ولا يضطر إلى هذا التأويل إلا على قول من قال بأن الأنبياء معصومون من الصغائر والكبائر، أما من يقول بأن الصغائر يمكن وقوعها فإنه لا يضطر إلى هذا التأويل³⁸.

وفي قوله تعالى: " هِيَ رَاوَدَّتْنِي " فإن "هي" ضمير باتفاق، وليس هو للغائب، بل لمن هو حاضر، فالضمير المفسر للغائب إما أن يصرح به أو يستغنى بحضور مدلوله حساً أو علماً، والحس كما في قوله تعالى: " هِيَ رَاوَدَّتْنِي "، ومثله في قصة موسى عليه السلام في مدين، قال تعالى: "فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ بَحَثَتْ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (25) قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتِ اسْتَأْجِرْهُ

³⁷ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، (القاهرة: المطبعة الفنية)، دت ج 2، ص 226-227

³⁸ ابن قيم الزوجية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، (بيروت، مكتبة الهلال)، ص 127

إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَزْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، (القصص 25-26). وذلك كما ذكر ابن مالك وتعقبه بأنه ليس كما مثل به، لأن هذين الضميرين عائدان على ما قبلهما، فضمير "هي راودتني" عائداً على الأهل في قوله: "مَا جَزَاءَ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا"، ولما كُنْتُ امرأة العزيز عن نفسها ولم تقل "بي" بدلاً من "بأهلك" كَتَى هو عليه السلام بـ"هي راودتني"، ولم يخاطبها بـ"أنت راودتني"، وكل هذا على سبيل الأدب في الألفاظ والاستحياء في الخطاب الذي يليق بالأنبياء عليهم السلام؛ فأبرز الاسم في صورة ضمير الغيبة؛ تأديباً مع العزيز، وحياءاً منه³⁹ .

الآية (30-31) قال تعالى: وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (30)، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ.

قال الله تعالى: "قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا"، أي شغاف قلبها، والشغف هو غلاف القلب على هيئة كيس، جاء في الصحاح أن الشغاف: غلاف القلب، وهو جلدة دونه كالحجاب . يقال: شَغَفَهُ الحُبُّ، أي بلغ شغافه⁴⁰ .

ولو صرف النظر إلى قوله تعالى: " مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ "، يلاحظ الكاتب أنهن شبهن يوسف عليه السلام بالملك، من دون ذكر الأداة، وهذا تشبيه بليغ، والتشبيه البليغ هو

³⁹ الخطيب الإسكافي، برواية ابن أبي الفرج الأدرستاني، درة التنزيل وقرّة التأويل، (بيروت: دار الآفاق، الطبعة الثانية،

1977م)، ص 239

الصحاح، نقله بصيغة الموسوعة الإلكترونية موقع

⁴⁰ اسماعيل بن حماد الجوهري أبو نصر،

http://www.alwarraq.com، تاريخ النقل 2012-1-27.

أن يحذف وجه الشبه وأداة التشبيه، ويبقى المشبه والمشبه به فقط، ومثله قولنا: "محمد أسد" فالمراد: "محمد كالأسد في الشجاعة"، فحذفت أداة التشبيه "كا"، وحذف وجه الشبه وهو "الشجاعة" وبقي المشبه والمشبه به، والأمر كذلك فمرادهم قول: "هو مثل الملك في الحسن والجمال"، والمقصود هو إثبات الحسن، لأنه تعالى جعل في الطباع أن لا شيء أحسن من الملك، كما جعل في الطباع أن لا شيء أفبح من الشياطين، قال تعالى: **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعَهَا كَأَنَّه رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ (الصفات 64-65)**، فقد شبه الله تعالى طلوعها برؤوس الشياطين، تبشيعاً لها وتكريهاً لذكرها، وإنما شبهها برؤوس الشياطين وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين، لأنه قد استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر⁴¹.

وقد أدخل القرآن فناً آخر لا يبدو للناظر للوهلة الأولى، وهو فن عرفوه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة منه تجاهلاً منه، وقد يقصد به الذم أو التعجب أو التوبيخ أو التقرير ويسمى هذا الفن "تجاهل العارف" و سماه السكاكي: "سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كما لتوبيخ أو المبالغة في المدح أو الذم"⁴².

الآية (32) قال تعالى: **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ.**

في هذه الآية الحذف في قوله: " فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ "، والتقدير: في حبه، ودليله قوله تعالى: " قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا "، ولأن يوسف لا يصح ظرفاً "للوم"، ولا يُلام أحد في الحب، لأنه أمر

⁴¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (بيروت: دار طيبة للنشر والتوزيع، 1420هـ - 1999م)، ج 4 ص 11

⁴² الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، (بيروت: دار إحياء العلوم، 1419هـ / 1998م)، ص 351.

قهري لا اختياري، لا يلام عليه إلا من حيث تعاطي أسبابه، أما المرادة فهي حاصلة باكتسابها فهي قادرة على دفعها فيأتي اللوم عليها⁴³ .

الآية (36) قال تعالى: **وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا** فَوَقَّ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبْنَأُ بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ .

يظهر جلياً في هذه الآية " المجاز المرسل "، والمجاز المرسل هو ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له علاقة ملابسة ومناسبة غير المشابهة⁴⁴، ففي قوله تعالى: " إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا "، أي عنباً، والعلاقة ما يؤول إليه، فقد سمي العنب خمراً، لأنه يؤول إلى الخمر، لكونه المقصود من العصير، وقيل الخمر هو العنب حقيقةً بلغة عمان. كما أنَّ الخمر العنب أيضاً في بعض اللغات الأخرى. ولتوضيح الرؤية فإن هذا يسمى إطلاق اسم المتهم على المحقق⁴⁵ .

الآية (41) قال تعالى: **يَا صَاحِبِ السَّجْنِ أَمَا أَحَدُكُمْ فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُهُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ .**

هذه الآية من الناحية البلاغية الحذف، وهو حذف الفاعل وإقامة المفعول مقامه، مع بناء الفعل للمجهول، وقد جاء بفائدة التعظيم في قوله: " قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ " ⁴⁶.

الآية (42) قال تعالى: **وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ .**

⁴³ السيوطي، المرجع السابق، ج 2، ص 157

⁴⁴ أحمد محمد المراغي، علوم البلاغة البيان المعاني البديع، (دم: المكتبة المحمودية، دت)، ص 76.

⁴⁵ ابن قيم الزوجية، الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، (بيروت: مكتبة الهلال، دت)، ص 5.

⁴⁶ ابن قيم الزوجية، نفس المرجع، ص 35.

إن المتأمل بهذه الآية يظهر له البيان القرآني، ففي قوله: " وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا "، فإن "ظن" هنا بمعنى "أيقن" وذلك في قول أكثر المفسرين، وفسره قتادة على الظن الذي هو خلاف اليقين، قال: إنما ظن يوسف نجاته لأن العابر يظن ظناً ، وربك يخلق ما يشاء، والأول أصح وأشبه بحال الأنبياء وأن ما قاله للفتيين في تعبير الرؤيا كان عن وحيٍ ، وإنما يكون ظنا في حكم الناس ، وأما في حق الأنبياء فإن حكمهم حق كيفما وقع ⁴⁷.

أما من حيث الصيغ الصرفية في قوله تعالى: "ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا" ، فإنه استعمل صيغة المضارع في "ناج" مبالغة في الدلالة على تحقق النجاة حسبما يفيدته قوله تعالى: "فُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ" ، وهو السر في إثارة ما عليه النظم الكريم على أن يقال للذي ظنه ناجيا منهما من صاحبيه، وإنما ذكر بوصف النجاة تمهيدا لمناط التوصية بالذكر عند الملك ، وربما انصرف العقل إلى فهم أن الظان هو الناجي والصحيح أن الظان هو يوسف عليه السلام، لأن التوصية المذكورة لا تشير إلى ظن الناجي بل إلى ظن يوسف ⁴⁸ ، وهو كما مر بنا سابقاً بمعنى اليقين ومثيله في قوله تعالى: "إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةٍ" ، (الحاقة: 20).

الآية (43) قال تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ .
 يأسر القرآن الكريم بديع نظمه ودقة ألفاظه المتمعنين في دقائقه، ففي الآية هذه أن الصيغ قد أفادت معاني متعددة، وتعدت مدلولاتها فقد قال الملك: "إِنِّي أَرَى" ، أي رأيت فقد جاءت

⁴⁷ القرطبي، المرجع السابق، ج 9 ص194.

⁴⁸ محمد بن محمد العمادي أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،

بصيغة المضارع، لحكاية الحال الماضية، ونرى مثل ذلك في قوله: "يَأْكُلُهُنَّ"، أي "أكلهن"، كذلك وردت صيغة المضارع لاستحضار الصورة، والجملة حال من البقرات أو صفة لها، ولننظر إلى قوله: "سَبْعٌ عِجَافٌ"، أي سبع بقرات عجاف، لم يقل: "سبع عجافٍ" بالإضافة، لأن التمييز موضوع لبيان الجنس، والصفة ليست بصالحة لذلك، فلا يقال: "ثلاثة ضخامٍ" و "أربعة غلاظٍ"، ولربما قال قائل: "ثلاثة فرسانٍ" و "خمسة ركبانٍ" فإن ذلك راجعٌ لجريان "الفارس" و "الراكب" مجرى الأسماء⁴⁹.

أما في قوله: "يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"، فإنه تشریف لهم وتفخيم أمر رؤياه حيث قال: "يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ"، أما قوله: "تَعْبُرُونَ"، فمعناه: تعلمون عبارة جنس الرؤيا علماً مستمراً، وهي الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام، إلى ما هي صور وأمثلة لها، من الأمور الآفاقية أو الأنفسية الواقعة في الخارج، "وتعبرون" من العبور وهو المجاوزة، تقول: عبرت النهر إذا قطعته، والجمع بين الماضي والمستقبل للدلالة على الإستمرار، واللام للبيان، أو لتقوية العامل المؤخر لمراعاة الفواصل وهو "تعبرون"، أو لتضمين تعبرون معنى فعل متعدٍ باللام كأنه قيل: "إن كنتم تتدبون لعبارتها" ويجوز أن يكون للرؤيا خبر كان، كما يقال: "فلان لهذا الأمر" إذا كان مستقلاً به متمكناً منه⁵⁰.

⁴⁹ نفس المرجع.

⁵⁰ نفس المرجع، ص 281.

والمتأمل في قوله تعالى: "إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ"، يتراءى له فهمٌ مفاده أن قوله: "إِنْ كُنْتُمْ

لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ" إنما هو تدليل على أنهم لم يكونوا في علمه عالمين بها، ذلك أنه أتى بـ "إِنْ" التي

تفيد الشك⁵¹.

الآية (44) قال تعالى: قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ.

لاتخلو آية أيها القارئ من كتاب الله من نكتِ بلاغية تعجز أمراء البيان، فبين أيدينا

تعبير غاية في الدقة وهو قوله تعالى: "أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ"، فيه مبالغة، فقد جمعوا "الضغث" وقالوا:

"أضغاث أحلام"، أي تخاليطها، والضغث: في الأصل ما جمع من أحلاط النبات وحُزْم، ثم استعير

لما تجمعته القوة المتخيلة من أحاديث النفس، ووساوس الشيطان، وتربها في المنام، و"الأحلام" جمع

حلم وهي الرؤيا الكاذبة التي لا حقيقة لها، أخرجوها من جنس الرؤيا التي لها عاقبة تُؤوَل إليها،

وعن أبي قتادة قال: "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: الرُّؤْيَا مِنَ اللَّهِ وَالْحُلْمُ مِنَ

الشَّيْطَانِ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفِثْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ وَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّهَا

لَنْ تَضُرَّهُ"⁵².

وقد أوردوا الأحلام على صيغة الجمع، على الرغم من أنها رؤيا واحدة، وذلك مبالغة في

وصفها بالبطلان، كما في قولهم: "فلان يركب الخيل ويلبس العمائم"، وذلك لمن لا يملك إلا فرساً

واحداً وعمامة فردة، أو لتضمنها أشياء مختلفة من البقرات السبع السمان والسبع العجاف،

⁵¹ ابن قيم الزوجية، المرجع السابق، ص 35

⁵² أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح المسلم، (بيروت: دار الجيل)، ج 7 ص 51.

والسنابل السبع الخضر والأخر اليابسات، فتأمل أيها القارئ الكريم حسن موضع الأضغاث مع السنابل، فما أروع وأرفع شأن هذا القرآن ببديع نظمه المتناهي في الدقة والبلاغة⁵³.

وثمة أمر آخر بهذه الآية وهو ضربٌ من ضروبِ محاسن الكلام يعرف بـ"نفي الشيء بإيجابه" ويعدُّ هذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأمله القارئ وجد باطنه نفيًا، وظاهره إيجاباً.

الآية (46) قال تعالى: يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ.

القرآن الكريم مليء بالأساليب البلاغية التي تنبئ عن مدى الرقي في طرح المواضيع، وعن ما بها من بلاغة نادرة، ولتتبع عبارات هذه الآية الكريمة، فنجد أن الذي نجا وتذكر بعد مدة قد دخل على يوسف، فقال: "يا يوسف" ووصفه بالمبالغة في الصدق بقوله: "الصديق" حسبما شاهده وذاق أحواله وجرمها، لكونه بصدد اغتنام آثاره واقتباس أنواره، فهو من باب "براعة الاستهلال"، وأحسن الابتداءات ما ناسب المقصود.

الآية (50) قال تعالى: وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النَّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ.

وفي قوله تعالى: "فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن"، براعة في الطلب، على الرغم من أن الشيء المراد السؤال عنه واحد إلا أن الصيغ تختلف، وإن تشابهت الصيغ فإن لكل صيغة دلالة معينة، فيوسف عليه السلام عندما قال: "فاسأله ما بال النسوة"، تحرى أن يوقع في نفس

⁵³ محمد بن محمد العمادي أبو السعود، المرجع السابق، ج 4 ص 281

الملك الاهتمام بطلبه، فلم يسأله أن يستقصي ويفتش عن ذلك الأمر، بل سأله ما بال النسوة، حثاً منه للملك على الجِد في التفتيش ، ليتبين براءته و تتضح نزاهته؛ إذ السؤال مما يهيج الإنسان على الاهتمام في البحث للتقصي عما توجه إليه ، وأما الطلبُ فمما قد يتسامح ويتساهل فيه ولا يبالي به⁵⁴.

الآية (70) قال تعالى: **فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَحِيهِ ثُمَّ أَدَّنَ مُؤَدَّنٍ أَيَّتُهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ.**

في هذه الآية يتبادر للذهن سؤال وهو: هل العير تعقل لكي يسألها السائل؟، إن المراد هنا ليس العير ذاتها، بل أصحاب العير، وهذا ضرب من ضروب البلاغة يسمى "المجاز المرسل"⁵⁵، ومثل ذلك ما أورده أبو داود في سننه من قول الرسول الكريم: يا خيل الله اركبي.

الآية (73) قال تعالى: **قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ.**

وفي هذه الآية الكريمة توجد الجملة الاعتراضية، والاعتراض يسمى "التفاتاً" وهو أن يؤتى في أثناء كلام أو كلامين متصلين معنى بشيء يتم الغرض الأصلي بدونه ، ولا يفوت بفواته ؛ فيكون فاصلاً بين الكلام والكلامين لنكتة، وقيل هو إرادة وصف شيئين ، الأول منهما قصداً ، والثاني بطريق الانجرار، وله تعلق بالأول بضرب من التأكيد ، وعند النحاة هو: جملة صغرى تتخلل جملة

⁵⁴ محمد بن محمد العمادي أبو السعود، المرجع السابق، ج 4 ص 284

⁵⁵ الزنجشيري، المرجع السابق، ج 2، ص 484.

كبرى على جهة التأكيد ، يقول ابن هشام في المغني: هي الجملة التي بين شيئين لإفادة الكلام تقوية وتسديداً أو تحسیناً⁵⁶.

ومنه ما ورد في هذه الآية الكريمة وهو قوله تعالى: "تَاللّٰهِ لَآءَدُ عَلِمْتُمْ مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ" فجاءت جملة "لَآءَدُ عَلِمْتُمْ" اعتراضية، والمراد تقرير إثبات البراءة من تهمة السرقة⁵⁷.
الآية (82) قال تعالى: وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَفْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ.
يتكرر المجاز المرسل في هذه الآية الكريمة، فسؤال القرية عبارة عن سؤال أهلها مجازاً في القرية لإطلاقها عليها بعلاقة الحالية والمحلية، وحاصل المعنى: "أرسل من تثق به من أهل القرية، واسألهم عن القصة، فعبر بالقرية عن ساكنيها"⁵⁸.

الآية (83-84) قال تعالى: قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)، وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ.

وفي قوله: "وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ"، استعارة تصريحية، فقد شبه امتلاء قلبه بالحزن على يوسف بامتلاء القرية بالماء، وشبه صبره في أمره وتركه الشكوى لغير الله برباط ربط على فم القرية حتى لا يخرج منها الماء، وهذا معنى الكظم⁵⁹، وقيل في التأسى والصبر: ما أعطيت أمة غد

⁵⁶ ابن هشام. تحقيق، الفاخوري، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، (بيروت: دارالجيل، ط 1، 1991م)، ج 2

⁵⁷ الزركشي، المرجع السابق، ج 3، ص 56-57.

⁵⁸ محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، (مؤسسة

الرسالة، 1420 هـ - 2000 م)، ط 1، ج 13 ص 38.

⁵⁹ الزمخشري، المرجع السابق، ج 2، ص 490.

المصيبة ما أعطيت هذه الأمة من قولها: "إنا لله وإنا إليه راجعون". ولو أعطيها أحد لأعطيها

يعقوب حيث يقول: "يا أسفا على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم".

الآية (85) قال الله تعالى: قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذَكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ

الْهَالِكِينَ.

يظهر في هذه الآية من الناحية البلاغية ما يسمى بـ "اتتلاف اللفظ مع المعنى" وهو أن

تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى منسجمة مع بعضها ، ومن

اتتلاف اللفظ مع المعنى أن يكون اللفظ جزئياً إذا كان المعنى فخماً، ورفيقاً إذا كان المعنى رقيقاً،

وغريباً إذا كان المعنى غريباً .

ومن شواهد هذا القسم من الاتتلاف من الكتاب العزيز الآية التي بين أيدينا، فإنه سبحانه

أتى بأغرب ألفاظ القسم ، بالنسبة إلى أخواتها، فإن "والله" و "بالله" أكثر استعمالاً وأعرف عند

العامّة من "تالله" ولما أن كان القسم متمثلاً في أغرب صيغته التي في بابه فإن كان وأخواتها أكثر

استعمالاً من "تفتأ" وأعرف عند العامة، ولذلك أتى بعدهما بأغرب ألفاظ الهلاك وهي لفظة

"حرض" ويقال: نهك فلان مرضاً، حتى أصبح حرضاً، وهو المش رف على الهلاك أحرضه المرض⁶⁰،

فاقتضى حسن الوضع في النظم أن تجاوز كل لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة، أو في الاستعمال،

توخياً لحسن الجوار، ورغبة في اتتلاف اللفظ مع المعنى، ولتتبادل الألفاظ في الوضع وتناسب في

النظم⁶¹.

⁶⁰ أبو القاسم الزمخشري، أساس البلاغة، (بيروت: دار صادر) دط ، دت، ص 122.

⁶¹ البيان العربي، (القاهرة: مكتبة الأنجلو، دت) ، ص 69.

الآية (87) قال الله تعالى: يَا بَنِي آدَهْبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوْسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَّأَسُوا مِن رُّوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّأَسُ مِن رُّوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ.

وتتجلى الاستعارة في هذه الآية في قوله: "وَلَا تَيَّأَسُوا مِن رُّوحِ اللَّهِ"، أي لا تفنطوا من فرجه تعالى وتيسيره وتنفيسه، وأصل معنى "الروح" بالفتح "التنفس"، يقال: أراح الله الإنسان إذا تنفس، ثم استعير للفرج، وفسر "الروح" بالرحمة على أنه استعارة من معناها المعروف، لأن الرحمة سبب الحياة كالروح، وإضافتها إلى الله لأنها منه سبحانه وتعالى⁶².

الآية (92) قال الله تعالى: قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفُرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ. وتشتمل هذه الآية على الاستعارة أيضاً، وهي متمثلة في قوله: "لَا تَثْرِبَ"، أي لا تأنيب ولا لوم عليكم، وأصله من "الثرّب" وهو الشحم على الجفون وعلى الكرش. واستعير للوم، وباللوم تظهر العيوب كما بإزالة الشحوم يبدو الهزل، فالجامع بينهما طريان النقص بعد الكمال⁶³.

الآية (99) قال الله تعالى: فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ.

ويتضح المجاز المرسل جلياً في هذه الآية في قوله: "ادْخُلُوا مِصْرَ"، والمعلوم أنهم لا يستوعبون مصر كلها، وإنما يدخلون جزءاً منها، فعبر بالكل وأراد الجزء، فعلاقة هذا المجاز الكلية، ويسمى إطلاق الكل على البعض.

الآية (101) قال الله تعالى: رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ.

⁶² محمد أبو موسى، التصوير البياني، (القاهرة: مكتبة وهبة، دت)، ص 207.

⁶³ السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، (دم: دار الكتب العربية)، ص 155.

يتكرر الحذف في هذه الآية، وهو حذف حرف النداء من " فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ "،

وذلك دلالة على التعظيم والتنزيه ، ويلاحظ أيضاً فيها براعة المطلب وحسن التوسل.

الآية (102- 104) قال الله تعالى: ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ

إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ (102)، وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ (103)، وَمَا تَسَاءَلُهُمْ

عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ.

يوجد في هذه الآية من ضروب البلاغة أمرين :

الأول: فن الاحتجاج النظري، وهو فن جميل لطيف في علم البيان، ويسميه بعضهم

"المذهب الكلامي" وهو أن يلزم الخصم حجة تلزم لهذا الاحتجاج، والمعنى أن هذا النبأ غيب، لم

تعرفه إلا بالوحي، لأنك لم تحضر أخوة يوسف حين عزموا على ما هموا به من أن يجعلوه في غيابات

الجب، وهم يمحرون به، ومن المعلوم الذي لا يخفى على مكذبيك أنك ما لقيت أحداً سمع ذلك

فتعلمته منه، وقال بعض المحققين: إن هذا تهكم بمن كذبه، وذلك من حيث إنه تعالى جعل

المشكوك فيه كونه عليه السلام حاضراً بين يدي أولاد يعقوب، فنفاه بقوله: " وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ ".

الثاني: فن الاعتراض، وذلك في قوله: " وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ "، وينقسم

الاعتراض إلى قسمين:

أحدهما لا يأتي في الكلام إلا بفائدة، وهو جار مجرى التوكيد، والآخر أن يأتي في الكلام

لغير فائدة، فإما أن يكون دخوله فيه كخروجه منه، وإما أن يؤثر في تأليفه نقصاً وفي معناه فساداً،

فالقسم الأول كهذه الآية، وفائدة الاعتراض على وجهين:

الأول: تصوير حرصه عليه السلام على إيمان قومه، وهدايتهم، وتمالكه على ردعهم عن

غيهم، وتجنبيهم مظان الخطأ، ومواطن الضلال، وتعرضه للأذى في سبيل هذا الحرص.

الثاني: تصوير لحاجتهم وجحود عقليتهم، وإصرارهم على الغي الذي هم شارعون فيه، وبه

آخذون⁶⁴.

⁶⁴ شهاب الدين القرافي، الاستغناء في الاستثناء، (بيروت: دار الكتب العلمية، 1986م) ط1، ص444.